فلسطين في قلب شاعر

بقلم صبري حافظ

منذ اسابيع فتح مواليد المأساة عيونهم على صباح الذكرى السابعة عشرة لميلاد هذا الوضع الراعب المذل فوق ذلك الجزء العزيز من ارض الوطن العربي . وكان طعم الذكرى هذا العام مختلفا عن طعمها في الاعوام السابقة . ففي هذا العام لوح لهم الامل الذي ظل وهما طوال الاعوام الماضية ، ببشائر الخلاص . فمجرد الحلم بالعودة .. ذلك الحلم الذي ظل يلوب أعماق اللاجئين طوال الاعوام الماضية ويداعب بالامل خيالاتهم .. مجرد هذا الحلم وحده ودونما اي عمل لتحقيقه ، كان يجعل امل العودة وهما سرابيا خادعا . وقد ظل هذا الحلم الحبيب متشحا بغلالة الوهم طوال الاعوام الماضية . تلوكه خيالات اكداس اللاجئين بارض الانتظار دونما امل . يغذي جذوته في نفوسهم الحاحهم المستمر على اناشيد العودة واستمرائها كل صباح وبلا كلل . فقد كانت تلك الاناشيد، خلاصهم الوحيد انذاك .

وليس استمراء اللاجئين لهذا الوضع عبر هذه السنوات الطوال وليد كسلهم او توانيهم في استرجاع الوطن السليب ، فما كان الانتظار المرير ذاك تقاعسا عن العمل ، ولكنه كان الابن الطبيعي للظروف التي رافقت ميلاد النكبة وصاحبتها منذ اطلت على العالم بوادرها . فمنذ ان بدأ زحف اليهود الجرادي ـ مع بدايات هذا القرن ـ على الارض الفلسطينية تحت رداء الهجرة ، وتزايدت طوفاناتهم ابان الاضطهاد الهتلري لهم ـ منذ تلك الفترة ، وحتى قبلها ، بدأت مقاومة الشعب الفلسطيني بعدما حدس بالخطر . فانطلقت اضطرابات يافا في اول مايو عام ١٩٢١ واستمر الاضطراب سائدا حتى اضراب ابريل الشامل عام ١٩٣٦ مرورا بثورة البراق في اغسطس عام ١٩٢٩ وعصابات الشيخ عز الدين القشام المحاربة التي نثرت الرعب في قلوب اليهود وعرقلت لفترة طويلة زحفهم الجرادي الكئيب . وكانت القضية طوال هذه الفترة مطروحة امام الشعب الفلسطيني هكذا ... جحافل اليهود تريد ان تستولي على بلادنا وعلينا ان نوقفها .. ومن بسالة شعب يذود عن ارضه الخوف والرعب والظلام ، ومن استماتة اليهود في القتال خوفا من اهوال معسكرات الابادة النازية اذا ما صاحبتهم الهزيمة ، اكتسبت هذه الحرب حدتها وضراوتها . وكان يمكن ان تنتهي هذه الحرب بانتصار الشعب الفلسطيني لولا ان اخذت القضية وضعا اخر .

تدخلت الحكومات العربية تحت الضغط الشعبي العارم الذي ما لبث ان دفعها الى ان تعلن ان المسألة برمتها لن تكون بالنسبة لجيوشها اكثر من نزهة قصيرة تؤدب فيها العصابات الصهيونية ، وتمسحها من على وجه الارض الفلسطينية تماما . وانه ليس على الشعب الفلسطيني غير الانسحاب من المعركة في انتظار النتائج السريعة والحاسمة. وانسحب الشعب الفلسطيني من المعركة بعدما اودع قضيته في ايدي الحكومات العربية . وظل مكدسا بارض الانتظار يتابع النتائج . وليس المجال متسعا للخوض في التفاصيل ولا لمناقشة الاسباب التي ادت الى زحف الهزيمة فوق اشلاء كل شيء . فبالرغم من ان ثمة اسبابا عديدة ومتشابكة الا انها في الان نفسه واضحة وفي غير حاجة الى المتابعة او اعادة الاشارة اليها .. المهم ان الانتظار لم يطل كثيرا حتى جاءت النتائج .. كل النتائج مخيبة للامال . واعقبت هذه النتائج المخيبة وعود وتهويمات، علقت القضية على حبال البحث والضياع لفترات طويلة ، وجمدت اكداس اللاجئين بارض الانتظار ، بينما تحولت قضيتهم الى ورقة رابحة واكيدة المفعول في ايدي الكثير من الحكومات العربية بما لها من رصيد عاطفي ضخم ، في كل المعارك السياسية والانتخابية التي دارت على مد هذه الفترة وعلى طول المنطقة العربية .

وقد ادى كل هذا الى ان اتسمت كل التحديات التي قدمتها اكداس اللاجئين بارض الانتظار بالعقم والسلبية . وعلى مد فترة الانتظار الطويلة المريرة تلك كان الضياع يتغلغل في اعماق الشعب الفلسطيني فيطمس امامه معالم الطريق الى حل حقيقي لمأساته. وبرغم ان فقدان اللاجئين لكل شيء وانتزاع حق الملكية منهم تماما ، وتكدسهم في معسكرات التسول الرهيبة تلك ، يخلق امكانية تنامي الثورية في نفوسهم ويهيىء لها ويضاعف من قدرتهم على استرجاع الارض السليبة، فلن يخسروا في المعركة غير العار والضياع واحزان الهزيمة .

برغم كل هذا فقد استمر الحال هكذا حتى مطلع العام السادس عشر لميلاد المأساة . عندما بدأ الحل الصحيح في التيقظ اخيرا داخل سراديب الحلول الخاطئة والجزئية والتي ضيعت المأساة طوال هذه السنوات العقيمة . وتأكد للجميع ، وعبر مؤتمرات القمة الاخيرة، ضرورة وضع القضية في أيدي ابنائها من جديد . لانهم وحدهم القادرون على استدعاء النصر واسترجاع الوطن الضائع . وقد استطاعت كل هذه المراحل ان تترك ظلالها على الادب الذي عبر عن جميع ابعاد المأساة الواضحة منها والمدفونة في الضباب ، بدءا من الاكتفاء بالتأسي على الوطن الضائع ، او الصراخ بافتقاد الهرقل الذي يفك بروميثيوس الموثق، او اجترار اناشيد العودة ، و تمجيد العمليات الانتحارية الفردية. حتى ميلاد الرؤية الصحيحة لابعاد المأساة بمرافقة الحلول الحقيقية لها، وكان الشعر من اكثر الفنون استجابة لهذه القضية واحفلها تعبيرا عن كل مراحلها السلبية منها والايجابية .

والديوان الذي نتحدث عنه الان (فلسطين في القلب) من انتاج واحد من ابناء المأساة ، الا وهو معين توفيق بسيسو . ولان الشاعر من ابناء الارض الضائعة ، فان القارىء يتطلب منه ، خاصة وانه يقدم ديوانه له عام ١٩٦٥ ، مستوى معينا في تناول المأساة . بعدما استطاع ابناء المأساة ان يقدموا اعمالا ارتفعت نسبيا الى مستوى النكبة في الرواية والاقصوصة ، ويكفي ان نذكر اعمال غسان كنفاني وسميرة عزام وحليم بركات ، حتى نحدد المستوى الفني الذي عالج به ابناء النكبة مأساتهم . واذا كان باستطاعة القارىء ان يتلمس الاعذار للكتاب الذين عالجوا بابتسار ابعاد هذه القضية مثل علي الجارم واحمد محرم والشاعر القروي ويوسف السباعي وصلاح عبد الصبور وغيرهم ، ربما لان المأساة لم تتغلغل في اعماقهم بالقدر الكافي ، وربما لان ابتعادهم عن مواقعها لم يوفر لهم رؤية كل ابعادها ، وربما لانشغالهم بالتعبير عن قضايا مجتمعاتهم التي عاشوها وتوفرت لهم اسباب فهمها بصورة اعمق، وربما لاي سبب اخر . هذا القارىء نفسه لا يستطيع ان يتلمس الاعذار لواحد من ابناء النكبة عندما يعالج القضية بالفهم الخاطىء نفسه او الابتسار نفسه . فاذا لم يتمكن الفنان تماما من التعبير عن قضيته ورؤية كافة ابعادها ، واذا لم يتمكن من استبطان كافة ابعاد هذه المأساة الضارية ، فهل تراه يكون قادرا على التعبير عن اي شيء اخر ؟! .

هذا ما سوف يجيب عليه تناولنا للديوان عبر هذه الرحلة النقدية والتذوقية القصيرة . والديوان من انتاج الفترة الاخيرة التي مرت فيها القضية وتعبير عنها . لذا تتبلور عبره تيارات النضج التي اجتاحت وجه هذه القضية اخيرا وان لم يخل ايضا من تيارات السلبية التي حومت

فوق سطح هذه المأساة لفترات جد طويلة . صحيح ان الديوان يختلف من عدة نواح عن ديوان ابو سلمى (المشرد) وحتى عن ديواني فدوى طوقان (اعطنا حبا) او (وحدي مع الايام) .. ليس فقط لصدوره بعد هذه الدواوين ، ولكن ايضا لصدوره بعد ميلاد ذلك الانعطاف الحاد الذي انتاب مسار القضية ، وبعد تبلور الاتجاه الايجابي ـ على الصعيد العملي ـ في معالجتها . صدر وجموع الشعب الفلسطيني تتحرك لتكوين الجيش الذي سيسترجع الارض التي ضاعت منذ عام ١٩٤٨ ولتمحو عن وجودها الذل والعار واحزان الانتظار اليائس والهزيمة .

فبعد ان كانت النغمة الغالبة على الاشعار التي تناولت النكبة هي التأسي على البيت الذي ضاع ، وعلى حدائق الزيتون وبيارات البرتقال الحزين ، او الاكتفاء بالتعبير عن الوضع المرعب الذي تعيشه قافلة الضياع بارض الانتظار ، او الصراخ بافتقاد البطل الذي يثأر لاكداس اللاجئين ويزيح الظلم من فوق كواهلهم ، بعد ان كانت هذه هي النغمة الغالبة على كل الاشعار التي تناولت النكبة ، القديم منها والحديث ، نجد ان هذا الديوان يطالعنا بنغمة جديدة اخرى ... صحيح انها ليست جديدة تماما على الشعر العربي ، اذ نعثر على جذورها في قصائد بدر شاكر السياب وفواز عيد وممدوح عدوان وفايز خضور وغيرهم من الشعراء المحدثين الذين تناولوا هذه المأساة . الا أن سيطرة هذه النغمة على الكثير من قصائد الديوان ، هي التي تدفعنا الى التركيز على اهميتها هنا ، خاصة وانها النقطة الايجابية الوحيدة في الديوان باكمله ، كما أن ميلاد الرؤية الصحيحة لابعاد المأساة ، هو بدون شك اولى خطوات حلها .

ومنذ الاسطر الاولى في الديوان ، تعلن هذه النغمة الجديدة عن نفسها ، واذا ما تفاضينا عن الخطابية وعلو الصوت قليلا ، فاننا نستطيع ان نتعرف على ابرز ملامحها منذ ان تعانق العيون سطور الديوان الاولى تلك ..

استمعوا الي ،
اسمعني يا وطني
فالان خريف الاغلال يولي
والان ساحرق ظلي
كي لا أتمدد في ظلي

واهمية الديوان ، برغم العثرات الفنية الكثيرة التي سنؤجل الحديث عنها قليلا ، تبدأ من انطلاقه من هذه اللحظة ، لحظة موت خريف الاغلال والقيود القديمة .. اللحظة التي يحرق فيها الانسان الفلسطيني كل ظلال الماضي التي كان يتمدد في فيئها يحلم بالعودة ، وبيارات البرتقال وشجيرات الزيتون الخضر . فرفض هذا الاسلوب في معايشة النكبة الفلسطينية هو في الان نفسه ميلاد لاسلوب جديد في معالجتها وتناولها ، حتى ولو لم يعلن الشاعر صراحة عن هذا الاسلوب او يتحدث مباشرة عنه . فنفي القديم ميلاد للجديد في الوقت نفسه . لذلك فان الشاعر لا يصل بنا توا الى هذا الجديد الذي يريده ، الا عبر تناول الجزئيات الراهنة للمأساة وتصويرها باعتبارها حالة من الواجب تخطيها . ولن يتم هذا التخطي الا بميلاد حالة جديدة اخرى .

مئة شتاء قد مر وما زال
مصلوبك يا وطني يحلم ،
لو تلمس قدماه ،
الارض النائية كنجم
لو يمشي ،
لو يسمع وقع خطاه ...

ومجرد التغني باشواق اللقاء النائي واحلام العودة ، دون الحديث عن الطريق الى هذه العودة ، او المساهمة في تحقيقها واستدعاء فجرها ، نوع من نثر الاماني والضراعات في الصحراء الجدبة ونحن جلوس كي ينزل المطر . دونما ادراك لاستحالة نزول القطر في هذا الجو الذي يسيطر عليه القيظ المحرق . وما يلبث الشاعر ان يتيقظ على هذه الحقيقة عندما يقول ..

احبابي ،
لا يبني الطائر عشا
في جحر الثعبان ..
الطائر لا يدفأ
تحت جناح الحداة ، احبابي ،
فكفاكم ، وكفاني
نفخا في الاكفان
ليس يضمد جرح البركان
اكوام من حطب ودخان
لنضمد جرح البركان
بنار البركان ...

فكل المحاولات القديمة لحل القضية الفلسطينية كانت شديدة الشبه ببناء الطائر لعشه في جحر الثعبان ، أو بتضميد جرح البركان باكوام من الحطب ما تلبث ان تضخ الحياة في عروق البركان بينما هي راغبة في استلابها منه . لذلك لم تسفر كل هذه المحاولات عن اي نجاح ، ذلك لانه ..

ان ضل الجدول عن منبعه
تمضعه اشداق الكثبان
فحذار ، حذار ..
ان نخطف موجا من بحر ،
ان نزرعه في صحراء

حذار من كل الجهود الضائعة التي ظلت القضية الفلسطينية تتخبط في وهادها طوال هذه الاعوام الكليلة . فلو عرفت المأساة طريقها السليم منذ فترات طوال لما كان ثمة اثر لها الان . غير ان استمراء الحلول الخاطئة ، والتقاعس كسلا وانتظارا ، ادى الى بعثرة اشلاء المأساة على مد هذه الفترة الزمنية الطويلة . وظلت المأساة قائمة برغم ان عشرات المآسي الاشد ضراوة ، قد استطاعت خلال فترات اقصر ان

طالعوا كل شهر

المجلات الثقافية اللبنانية

الاديب

الحكمة

العرفان

العلوم

فهي تحمل اليكم النتاج الفكري الرصين

والابحاث القيمة باقلام خيرة الكتاب والادباء

تستدعي لنفسها بشائر الخلاص ، في الجزائر وفي الهند الصينية وفي شتى بقاع افريقيا وفي امريكا اللاتينية ..

كل الرايات المنفية قد عادت
يا وطني ..
الا رايتك المنفية من افق
ترتحل الى افق ..
في سوق لصوص الرايات
تباع بلا ثمن ..

فالى متى تعاني الراية الفلسطينية مرارة المنفى والغربة والشوق الى الديار ؟! الى متى ستظل جحافل الجراد تنهش الخضرة من على وجه ارضها ؟! بينما ابناؤها تائهون في خضم تلك «الشعارات القديمة» التي جمدت قضيتهم طوال هذه السنوات المريرة . تلك الشعارات التي اثقلت ركب القضية ، بل عاقته تماما عن السير في طريق حلها الصحيح، ظلت تتعثر به في متاهات سرابية ..

اثقلت ظهر السفينه
اثقلته ، اه يا صاح « الشعارات القديمة »
الق للاسمال يا صاح « الشعارات القديمة »

ولا يكتفي الشاعر بمطالبة صحابه برفض كل الدروب القديمة العقيمة التي سارت فيها قضيته ، ولكنه يرسم له ايضا طريق الخلاص، يطالب اياديه ان تتجمع كلها في يد كبيرة واحدة تمسح عن وجه الارض الفلسطينية الحزن والظلم وقطعان الجراد ..

يا ايادي
ارفعي عن ارضي الخضراء ظل السلسله
واحصدي من حقل شعبي سنبله
فانا لم احضن الخبز ومن قمح بلادي
منذ ان هبت رياح مثقلات بالجراد
نهشت ارض بلادي ..

ولا ادري لماذا وجد الشاعر نفسه مضطرا الى تقديم تلك المبررات الساذجة التي دفعته الى مطالبة الايادي بان ترفع عن وجه بلاده ظلال السلاسل والقضبان وكافة علامات الموت . ولو استطاع الشاعر ان يقدم لطلبه هذا مبررات اكثر عمقا واشد التصاقا بجوهر المأساة الفلسطينية، لكننا من ان نغفر له نسبيا تلك النثرية التي هبطت على القصيدة منذ تحولت القضية داخلها الى قالب المعادلات الرياضية . فان نريد كذا من اجل كذا ، مسألة يمكن ان نغفرها للرياضي او لكاتب المقال وليس لشاعر ، ولكن لندع هذا الموضوع قليلا .. فحتى هنا .. وعبر النماذج التي استشهدنا بها ، نلمس ابعاد هذه النغمة الجديدة في تناول القضية الفلسطينية والتي تحدثت عنها منذ قليل ، بكل ما فيها من صدور عن الوضع الراهن للقضية وفهم لجزئياتها . فليس الحديث السائد في الديوان عن الاستقرار الذاهب أو الضياع الذي يعيشه اللاجئون، ولكن عن ضرورة نبذ كل الاساليب والشعارات القديمة في علاج القضية، وعن ضرورة هجر السلبية والتباكي على الماضي واستمراء اناشيد العودة ، الى العمل الخلاق الذي سيرفع السلسلة عن وجه الارض الفلسطينية السليبة .

حتى هنا نكون قد وفينا هذه الجزئية الايجابية في الديوان حقها وزيادة .. فاذا ما التفتنا الى النواحي الاخرى فيه فلن يتهمنا احد بالتجني ولا بالتركيز على المثالب .. فقد وفينا الجانب الايجابي حقه وزيادة ، وركزنا عليه ، ليس حبا في هذا التركيز ولكن مساهمة منا في بلورة أبعاد الرؤية الصحيحة الى هذه القضية ، واستياء من طول ترديها في سراديب المعالجات المبتسرة والخاطئة . ولقد تحدثنا عن نضج رؤية الشاعر لابعاد القضية الفلسطينية ، وقد يلاحظ القارىء اننا تحدثنا عن ايجابية التناول دون ان يتطرق حديثنا الى شكلها . ذلك لان فهم الشاعر لطبيعة الشعر لم يرافق نضج فهمه لابعاد الموضوع الذي يتناوله، لذلك نعثر على النثرية واضحة في اغلب القصائد التي تغلفها خطابية عالية الصوت ، ومن هنا ينبثق سؤال .. لماذا كتب الشاعر قصائده في القالب الحديث ؟! .. فالشعر الحديث تجاوز للرؤية الكلاسيكية للشعر قبل ان يكون تجاوزا لعموده ، ومفهوم معين بسيسو للقصيدة لم يتجاوز ابدا المفهوم الكلاسيكي لها ، ولذلك عجز تماما عن ان يرى موضوعه رؤية شعرية برغم نجاحه في رؤيته على الصعيد السياسي . صحيح اننا نلمس في بعض القصائد جنوحا الى البساطة التي تحوم بها بالقرب من الشفافية . وان لم تكن البساطة العفوية ، بل تلك الناجمة عن تأثره الشديد بلوركا ونيرودا وناظم حكمت وسان جون بيرس . ذلك التأثر الذي بلغ حد استعارة ابيات كاملة منهم .. ففي قصيدة (الطابور) نعثر على ابيات كاملة من سان جون بيرس .. اذ ان قول الشاعر

اسمي تتساقط احرفه
اجنحة نسور
درعا لعيونك لا تجرحها

هي بتصرف شائه ابيات سان جون بيرس التي يقول فيها «حبيبتي .. هزي اسمي .. هزي اسمي كالشجرة تتساقط فوقك اوراقه » مع ملاحظة روعة الصورة عند سان جون بيرس وتدفقها بالحركة ، التي ماتت فور محاولة معين بسيسو لتغيير بعض جزئياتها . ولو كانت القصيدة امامي الان – اقصد قصيدة سان جون بيرس – لقدمت استشهادات اخرى ... وفي قصيدة (طابع بريد الى القاهرة) نعثر ايضا على ابيات كاملة من لوركا ..

فالاعين الاثيمة الشريرة
تجدل الحبال في الظهيرة

تذكرنا بقصيدة لوركا (صرخة في روما) التي يقول فيها « هنا لا شيء سوى مليون حداد ، يسبكون القيود في الظهيرة ، لاطفال لم يولدوا بعد » . وفي الديوان احالات عديدة الى قصائد نيرودا وناظم حكمت.. بل حتى عنوان الديوان نفسه مأخوذ من عنوان ديوان نيرودا (اسبانيا في القلب) الذي تحدث فيه عن اهوال الحرب الاهلية الاسبانية وعبر بحق عن كل اعماقها الثرية بالاسى . ولو استرسلنا في موضوع استعارة ابيات الاخرين وقصائدهم فقد يطول الحديث وقد يتعثر في دروب الاحراج والملل . غير اننا نحب ، وقبل ان نترك هذا الحديث جانبا ، ان نقول ان مسألة التأثر بالشعر العالمي ليس ثمة ما يشوبها وان كان هناك فرق كبير جدا بين التأثر بالاخرين واستعارة نصوصهم ، فرق يساوي البون بين الانتاج والسرقة ان لم يتجاوزه . فالشاعر ، او الكاتب الذي يستعير ابيات الاخرين او افكارهم – وهذه ظاهرة آخذة في الانتشار والتنامي في الفترات الاخيرة – لا يقوم فقط بسرقتها، بل يمارس ايضا نوعا من خداع القارىء الذي لا بد وانه يثق فيه سلفا ما دام الاول قد وجد في نفسه القدرة على تناول القلم وعرض كتاباته على الاخير . والتأثر بعيد عن ذلك بكثير .. فبينما يثري التأثر انتاج الكاتب ويعمقه ، تفقره الاستعارة وتؤدي الى تسطحه . وبينما يهب التأثر الكاتب الرؤيا والمنهج واسلوب التفكير ، تشل الاستعارة قدرته على الرؤية او الخلق الفني وتقعد به عن العثور على افكاره الخاصة، وحتى موضوعاته . وهذا هو ما حدث بالنسبة لشاعرنا في هذا الديوان .. فاذا ما تجاوزنا قليلا القصائد التي تناول فيها الشاعر قضية بلاده والتي يمكننا ان نعثر فيها ايضا على اصابع الاخرين – فكل الاستشهادات السابقة من هذه القصائد – فاننا لن نعثر ابدا على ذاتية الشاعر في القصائد الاخرى ولا على رؤيته المتفردة للعالم .. اللهم سوى امشاج من ناظم حكمت ولوركا ونيرودا .. بل انه من الصعب جدا ان نعثر على تجربة خاصة للشاعر وذات ابعاد متبلورة وواضحة في الديوان كله ، فليس لمعين بسيسو احتفاء بقضايا العالم الخاص برغم انه في كثير من الاحيان يكون الطريق الحقيقي الى العالم العام ، ولا يعني هذا ايضا انه من المولعين بالعالم العام مثل بيتس ولا ان تجاربه مع هذا العالم جاءت نتيجة لمحاولته تجاوز نطاق الذات ، ولكنه يعني فقط ان موضوعات قصائده تتجاوز كثيرا مفهوم التجربة لتسقط في هاوية التناول النثري لموضوعات عامة وقومية . لذلك نجد ان اغلب قصائد الديوان ، وبرغم انها قد حومت كثيرا ، على صعيد الفكرة ، بالقرب من الرؤية الصحيحة

لابعاد القضية الفلسطينية ، الا انه كان يقدم هذه الرؤية عبر عين غير شاعرة تحتفل كثيرا بالجزئيات الخارجية التي تتراكم في القصيدةدونما مبرر فني واضح او قوي ، وبالخطابية الزاعقة ، وبالتصوير النثري الذي لا يتعمق بالفكرة ابعد من حدود السطح ، كما في قصائد (لصوص الصلبان) و (قصيدة الى الاسلاك الشائكة) و (جراح بلا اجراس) و (الى الشعراء العرب) وغيرها . ولا نكاد نعثر ابدا على قصيدةتفيض فيها التجربة بابعاد شعرية حقيقية مستقاة من غنى التجربة وثرائها . وحتى القصيدة الوحيدة ـ اغنية الى زنجـي اميركي ـ التي كـان باستطاعتنا ان نعثر فيها على هذا الثراء لانطلاقها اساسا من موقـف انساني مليء بالاحاسيس ، هذه القصيدة ، فضلا عن انها مستعـارة التجربة من قصيدة منيلاوس لاودمس وهاورد فاست (الـى ناظم حكمت) .. بل ومن قصيدة عبد الله كوران (اغنية الى بول روبصون)، لم تتمكن من الوصول الى اعماق التجربة ولم تفجر زخمها الانسانـي وذلك لتحويمها الدائم بالقرب من ضجيج الموسيقى النحاسية بتعبيـر الصديق الاستاذ ابراهيم فتحي .. وحتى لا يكون الحديث مفرقا في التعميمات فلنقرأ ...

لؤلؤتي لن تتعفن
في الصدفة لن تتعفن
عالمنا يجبن
لن يأكل ساعده ،
لن يوقد
رايته كي يوقد
في الدفء الوحش
ولن يغرد
في مستنقع
سجانك اشرع
يا جيمي ولسون

ما اسماء
اطفالك ، ما اسم حمامتك البيضاء .... الخ.. الخ.

وانا اريد ان اسأل .. لماذا كل هذا البذخ في الاوراق والاسطر؟. وما الضرر لو كتبت هذه الكلمات هكذا .. « لؤلؤتي لن تتعفن فـي الصدفة ، ولن يجبن عالمنا ولن يأكل ساعده او يوقد رايته كي يوقد في الدفء الوحش ، وهو ايضا لن يغرد فـي مستنقع سجانك اشرع يـا جيمي ولسون .. اه .. انني اريد ان اسأل .. ما اسماء اطفالك وما اسم حمامتك وما عنوانك » .. لان هذه الاسئلة ضرورية لكتابة القصيدة .. الخ.. الخ... ماذا يمكن ان يحدث لو كتبت هكذا .. ألن يوفر علينا هذا عشرة سطور .. ثم الن يكون هذا ايضا وضعا للامور فـي نصابها الصحيح .. صحيح ان هذا سيخرج لنا في النهاية بنثـر .. ونثر رديء .. لكن هل يكفي ان نقطع النثر الرديء الى كلمات حتـى تستحيل الى شعر ؟! .. وما ضرورة ان يكتب الشعر اطلاقا اذا كـان بامكان النثر ان يؤدي نفس الغرض وبصورة اكثر ايجازا ووضوحا وعمقـا ؟!

كل هذه الاسئلة تثيرها اغلب قصائد الديوان .. وتثير معها كل قضايا الشعر الحديث الذي اغرى عديمي الموهبة بتسلق ساقهالغضة. فجنوا على الشعر الحديث قبل ان يجنوا على انفسهم .. صحيح ان معين بسيسو يقدم لنا في اغلب قصائده مقولات فكرية ، قـد نوافق عليها ، وقد تكون مقولات تقدمية ، وهذا في حد ذاته شيء طيب نحمده له ، لكن الذي لا نستطيع ان نحمده له . هو ذلك الاصرار على تقديم هذه المقولات غير الشعرية في قالب نظمي يصر على ان يكون شعرا . وهو يطرح بذلك قضية الاسلوب ـ ليس بالمعنى الذي يحده باطار اللغة ـ على صعيد مناقشة واسعة ... ويثير ايضا عدة اسئلة .. عن لماذا نكتب هذا الموضوع شعرا ولا نكتبه قصة او مقالة ؟! .. وهو موضـوع طويل ساحاول ان اتناوله في دراسة قادمة .

القاهرة

صبري حافظ

دار الاداب تقدم

قوة الاشياء

للكاتبة الوجودية العالمية

سيمون دو بوفوار

وفيه تواصل الكاتبة الفرنسية التي وصفت بانها اكبر اديبة وفيلسوفة في عصرنا الحديث مذكراتهـا الرائعة التي قراها القراء العرب في « مذكرات فتاة عاقلة » و « انا وسارتر والحياة » . وهـي تخصص فصولا برمتها عـن احداث الجزائر وانعكاساتها علـى المثقفين الفرنسيين ، ولا سيما موقفها هي مع عدد من كبار الادباء في فرنسا وعلى رأسهم سارتر مـن « حرب الجزائر القذرة » وتأييدهم لنضال الشعب الجزائـري ودفاعهم عن حقوقه ، ومـا لاقوا بسبب ذلك مـن اضطهاد في فرنسا وحرمان وتهديد بالقتل والاغتيال .

والى جانب ذلك فصول ممتعة عن رحلاتهـا وعلاقاتها بالادباء وتطور صلتها بشريك حياتها سارتر ، ويتخلل ذلك تاملات عميقة في الحياة والموت والمصير.

صدر حديثا

ترجمة عايدة مطرجي ادريس
مراجعة الدكتور سهيل ادريس

جزءان :
الاول : ٥٠٠ ق. ل
الثاني : ٦٠٠ ق. ل